

الحرم القدسي الشريف

مجاهد على شراب

كاتب صحفى فلسطينى ومراسل هيئة الإذاعة والتلفزيون الفلسطينية

مقدمة

تتناول هذه الدراسة بالتوضيح "الحرم القدسي الشريف" (وبه قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك) مع تفصيل لتاريخهما وعمارتهما وزخرفتهما خاصة قبة الصخرة . ولعل أحد الدوافع التي حدثت بي - ككاتب - لكتابة هذه الدراسة هو ذلك الخلط والتشويش الذى يحدث عند الكثير من المتابعين ، خاصة بعض الصحف والمجلات العربية ومنها الدينية الإسلامية على وجه الخصوص !!، عند نشر صور "قبة الصخرة المشرفة" وكتابة اسم "المسجد الأقصى" تحتها وكفى ! دون أى توضيح أو إضافة . فى حين لا تنتشر (وأحيانا كثيرة لا تشير أية إشارة إلى) صورة المسجد الأقصى المبارك نفسه كمسجد وبناء مستقل يقع إلى الجنوب فى ساحة الأقصى المبارك وتستمد ساحة الحرم القدسي الشريف اسمها من اسم الأقصى ذاته ، أو حين يتحدث البعض عن "المسجد الأقصى" وعمارته وزخرفته فيحدث - فى حقيقة الأمر - عن قبة الصخرة المشرفة نفسها ولا يذكر - حقيقة - المسجد الأقصى نفسه فى هذا الحديث ، أو يخلط - بطريقة غير واعية - بين وصفه للمسجد الأقصى كمسجد وبناء وبين قبة الصخرة المشرفة وعمارتها وزخرفتها كبناء آخر مستقل ، فتتداخل الأطوال والمقاييس (فيذكر كلمة عن هذا وكلمة عن ذلك ، وكأنه يتحدث عن بناء واحد). وحتى أسماء أبواب المسجد الأقصى وأبواب ساحة المسجد الأقصى (وهى ساحة الحرم القدسي الشريف) فالكثير يخلطون بين أسماء أبواب المسجد وهى (١١) باباً وساحته وهى (١٥) باباً ، وأيضا أبواب المدينة

القديمة داخل السور (وهى سبعة أبواب)، وأحيانا أقل يقع الخلط مع أبواب قبة الصخرة المشرفة نفسها (وهى أربعة أبواب)، وهكذا عند الحديث عن وصف العمارة والزخارف.

وتتناول هذه الدراسة بالتوضيح والتفصيل الموسع كل هذه الجوانب . فالمبحث الأول يتحدث عن الحرم القدسى الشريف (ساحة الأقصى المبارك) ككل وقدرسية محتوياته جميعها - ما دار عليه السور - ويعدد هذه المحتويات من قباب ومدارس وزوايا وآبار وأسبله ، إضافة إلى المسجد الأقصى وقبة الصخرة التى سنفرد لها الأجزاء التالية .

أما المبحث الثانى فيتناول قبة الصخرة المشرفة من ناحية تاريخ البناء ، ولماذا بناها عبد الملك بن مروان ؟ ، يليه المبحث الثالث ويتحدث عن قبة الصخرة المشرفة كأجمل الآثار التى خلدها التاريخ وأجمل الأبنية على وجه البسيطة ، كما جاء وصفها فى آراء وأقوال ووصف الرحالة وعلماء الآثار وفى فنون العمارة . ويتناول المبحث الرابع بالتفصيل العبقريّة فى بناء قبة الصخرة المشرفة والإبداع فى زخارفها ونقوشها مع وصف دقيق من الداخل والخارج. ثم المبحث الخامس الذى يتناول المسجد الأقصى المبارك - كبناء مستقل - وتاريخه وعمارته وما تعرض له من أحداث ومحاولات هدم وحرق وعمليات حفريات أسفله وبجواره وصولاً إلى مرحلة " النفق " التى عادت - وبرزت فى الأيام الأخيرة - كمشكلة من جديد ، إلى واجهة الأحداث ، وأدت إعادة افتتاح النفق تحت جناح الليل إلى إشعال الانتفاضة الفلسطينية الجديدة دفاعاً عن الأقصى والقدس الشريف .

المبحث الأول : الحرم القدسى الشريف

يقع الحرم القدسى الشريف ("ساحة " المسجد الأقصى المبارك) على هضبة جبل موريا فى الزاوية الجنوبية / الشرقية من مدينة القدس العتيقة ، وهى هضبة مستوية السطح مستطيلة الشكل تقريباً تقدر مساحتها بحوالى (١٤٤) دونما ، ويحيط بأرض الحرم سور كبير يصل ارتفاعه إلى (٤) أمتار ، وسمكه متران وربع المتر ، وطول الجهة الغربية منه (٤٩٠) متراً ، والشرقية (٤٧٤) متراً ، والشمالية (٣٢١) متراً ، والجنوبية (٢٨٣) متراً ، ويتخلل السور (١٥) باباً هى أبواب الحرم .

ويطلق على الحرم القدسي الشريف وجميع محتوياته " المسجد الأقصى المبارك " بالمعنى الإسلامى الذى تم الإسراء إليه ، وهو يعنى كل ما دار عليه السور فيشمل : المسجد الأقصى (البناء المتعارف عليه الآن إلى الجهة الجنوبية من الحرم) وقبة الصخرة المشرفة (وتتوسط - تقريباً - ساحة الحرم) وكل الساحات والقباب والأبنية والآثار والمقدسات الموجودة فيه .

وقد أكد المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية المنعقد بالقاهرة (رجب ١٣٨٨ هجرى/أيلول - سبتمبر ١٩٦٨) على قدسية كل ساحة الحرم الشريف ، فى البند الرابع - الفقرة ب من القرارات والتوصيات ، فقال " يؤكد المؤتمر الفتوى الدينية الصادرة من علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم بالصفة الغربية (المحتلة) فى ١٧ جمادى الأولى ١٣٨٧ هجرى الموافق ٢٢ آب / أغسطس ١٩٦٨ ، والمتضمنة أن المسجد الأقصى المبارك بمعناه الدينى يشمل المسجد الأقصى المبارك المعروف الآن وقبة الصخرة المشرفة والساحات المحيطة بهما وما عليه السور وفيه الأبواب . ويؤكد المؤتمر " أن العدوان على أى جزء من ذلك يعتبر انتهاكاً لحرمة المسجد الأقصى المبارك واعتداءً على قدسيته".

ويحتوى الحرم القدسي الشريف ، إضافة إلى المسجد الأقصى المبارك فى الجهة الجنوبية من ساحة الحرم ، ومسجد قبة الصخرة المشرفة فى وسط الحرم تقريباً وفى أعلى بقعة منه (وسنعود إلى تقديمهما بشكل تفصيلى موسع فى الأجزاء التالية من هذه الدراسة) ، يحتوى على العديد من الساحات والآثار الإسلامية ، والمساجد الصغيرة (مثل مسجد عمر ومسجد البراق) والعديد من القباب والميازين (الموازين) والمدارس والزوايا والأروقة والمصاطب ، وبض الأسبله والآبار . ويجتمع الناس للوضوء حول حوض يسمونه " الكأس " أمام المسجد الأقصى . وللحرم أربع مآذن عالية وبه متحف إسلامى ومكتبة وعدد من الأروقة تقع فى الجهتين الغربية والشمالية .

المدرسة الأشرفية

يقول القاضي مجير الدين في كتابه " الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل " : في القدس الشريف جوهرتان : الأولى المسجد الأقصى المبارك والثانية الصخرة المشرفة ، وأما الجوهرة الثالثة فهي المدرسة الأشرفية التي أكمل بناءها السلطان قايتباي المملوكي ، وتعتبر من أهم المعالم المملوكية في القدس (هدمها زلزال سنة ٩٠٣ هجرياً ثم أعيد بناؤها ثانية وعادت إلى سابق عهدها) . وكانت الجواهر الثلاث (الأقصى - قبة الصخرة - المدرسة الأشرفية) تضاء أيام الجمعة والأحد والاثنين على التوالي ، كما يقول كتاب الأنس الجليل .

تتكون المدرسة من طابقين ، وتقع بين قبة الصخرة ومنارة باب السلسلة ، وقد قامت دائرة الأوقاف بالقدس بترميم الطابق السفلي منها ونقلت إليه مكتبة المسجد الأقصى وبها مجموعة نادرة من الكتب والمخطوطات الإسلامية . كما يوجد داخل الحرم مبنى متحف الفن الإسلامي الذي يضم مجموعات نادرة من المخطوطات والقطع المعدنية الأثرية من مختلف العصور الإسلامية ، ويضم بقايا محراب صلاح الدين الأيوبي (ما تبقى منه بعد الحريق) داخل دولا ب زجاجي وكذلك بقايا الأخشاب التي بنى منها مسجد عمر بن الخطاب.

وهناك مدارس كثيرة تقع داخل الحرم مثل " المدرسة الجاولية " (كلية روضة المعارف الوطنية) وواقفها هو الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزة ، سنة ٧١٥ هجرياً / ١٣١٥ ميلادياً ، وكان من أهل العلم وله مصنفات كثيرة ، وتقع في الجهة الشمالية الغربية من ساحة الحرم ، وفيها مدفن الشيخ الصالح درباس الكردي الهكاري . و"الخانقاة الفخرية " تقع عند باب حارة المغاربة وواقفها هو القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل الله (ناظر الجيوش الإسلامية) المتوفى في منتصف رجب سنة ٧٣٢ هجرياً / ١٣٣١ ميلادياً . ويذكر مجير الدين الحنبلي ، أن أصله قبضي وأسلم وحسن إسلامه وله أوقاف كثيرة وبر وإحسان لأهل العلم .

و" المدرسة الكريمة " بالقرب من باب حطه وواقفها هو كريم الدين بن المعلم بن مكناس (ناظر الخواص الشريفة بالديار المصرية) سنة ٧١٨ هجرياً / ١٣١٩ ميلادياً ، والمدرسة الناصرية نسبة إلى الشيخ نصر المقدس ، واشتهرت باسم "الغزالية " نسبة إلى

الإمام أبى حامد الغزالي الذى اعتكف فيها فترة طويلة عندما وضع كتابه " إحياء علوم الدين " ، وتقع على برج باب الرحمة (فى الباب الذهبى على السور الشرقى) ، ووجدت عمارتها سنة ٦١٠ هجرى / ١٢١٤ ميلادياً لجعلها زاوية لقراءة القرآن الكريم وآداب اللغة العربية والنحو .

وهناك المدرسة المعظمية (الحنفية) بالقرب من باب شرع الأنبياء (فيصل) ، وبنيت سنة ٦١٤ هجرى / ١٢١٧ ميلادياً وكذلك "القبّة النحوية " التى تعتبر من القباب أيضاً وبنيت سنة ٦٠٤ هجرى / ١٢٠٧ ميلادياً فى بناء جميل عند الزاوية الجنوبية الغربية لصحن قبة الصخرة لتكون مقراً لدراسة الآداب العربية . وهناك مدارس كثيرة خارج الحرم على السور الشمالى والغربى منه .

القباب والميادين

أما عن القباب الواقعة داخل الحرم ، فهناك " قبة السلسلة " و "قبة المعراج" و "قبة سليمان " و " قبة الأرواح" التى يقال إن الله تعالى يبعث الأرواح من هذه المنطقة يوم القيامة ويستشهد فى ذلك بحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن أرض بيت المقدس بأنها " أرض المحشر والمنشر " . وهناك قباب أخرى مثل قبة يوسف وقبة موسى وقبة برهان الدين ، إضافة إلى " القبة النحوية " السابق ذكرها .

وتوجد العديد من الآبار والأسبلة ، منها ثمانى آبار فى صحن الصخرة وسبع عشرة فى فناء الأقصى، كذلك بئر قايتباى وسبيله ، وسبيل سليمان وسبيل الشيخ بدير وسبيل قاسم باشا ، وسبيل مشعلان فى زاوية صحن قبة الصخرة من الجهة الشمالية الغربية بناء الملك عيسى ابن الملك العادل أخ السلطان صلاح الدين سنة ٦١٣ هجرى / ١٢١٦ ميلادياً .

ويوجد ضمن قبة الصخرة ، حول المسجد الأقصى وفى مواجهة أبوابه ، عدد من العقود (الأقواس) المحمولة على أعمدة رخامية غاية فى الجمال ، تسمى بالميازين (أو الموازين) منها الثلاثى والرابعى والخماسى وذلك بحسب الأقواس المحمولة على الأعمدة الرخامية وقناطرها .

وهناك العديد من الأروقة الممتدة من جهة الجنوب إلى جهة الشمال على السور الغربى للحرم القدسى الشريف.

المبحث الثانى : قبة الصخرة المشرفة ، متى شيدت والهدف من البناء؟

عندما حضر أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) لتسلم مدينة القدس / ايلياء ، كما طلب صفرونيوس بطريرك الروم من أبى عبيدة بن الجراح ، وكتب عمر "وثيقة الأمان" التى سميت "العهدة العمرية" سنة ١٥هـ / ٦٣٦م ، طلب عمر بن الخطاب من صفرونيوس أن يدلّه على مكان الأقصى المبارك والصخرة المشرفة ، وكانت ساحة الأقصى وقتها مهملة مهجورة ، فدله على مكان الصخرة التى كان يعلوها التراب والنفايات ، فأخذ عمر بن الخطاب ينظف الصخرة بيديه وطرف رداءه وقبائه ومعه الصحابة يرفعون التراب حتى نظفت الصخرة تماما (التى يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ١٧,٧٠ م وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣,٥٠ م وسمكها ٢ م) والتى لها منزلة خاصة فى قلوب المسلمين ، حيث عرج الرسول الكريم سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى السماء ، عنها ، فى ليلة الإسراء والمعراج ، وعلى طرفها الأيمن يبدو أثر قدمى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليلة المعراج ، كما روى عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : "صليت ليلة أسرى بى إلى بيت المقدس على يمين الصخرة" ، وعن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال "صخرة بيت المقدس من صخور الجنة" .

فى البدء : مسجد عمر ، وقد أمر سيدنا عمر بن الخطاب ببناء مسجد يتسع لثلاثة آلاف من المصلين عند الصخرة . ومن الذين رأوا المسجد (الذى أقيم على الصخرة - قبل مسجد قبة الصخرة الحالى - وكان يسمى مسجد عمر) بأم أعينهم ، السائح أركولف الذى زار القدس ، وكذلك السائح المؤرخ جيروم الذى زار القدس بعده بقليل ، وقالوا إن ذلك المسجد كان مبنيا من الخشب وكان يتسع فعلا لثلاثة آلاف مصل ، لكنه لم يصمد وتهدم - فيما بعد - نتيجة لبعض الزلازل والعوامل المناخية الأخرى.

وعندما عزم عبد الملك بن مروان ، خامس خلفاء بنى أمية ، على بناء مسجد يليق بمكانة القدس فى الإسلام وبمكانة وقديسية الصخرة المشرفة ويتناسب مع عظمة الإسلام ولما لهذه الصخرة من منزلة دينية ومكانة روحية عند المسلمين ، كتب إلى دلاة الدولة الإسلامية ليأخذ مشورتهم ويقف على رأى بلادهم فى الفكرة ، فأشاروا عليه بالإقدام على هذا العمل واثتوا على الفكرة وشجعوه على تنفيذها ، وكانت ردودهم (كما يقول : المنهاجى الأسيوطى فى كتابه "إتحاف الاخصاص فى فضائل المسجد الأقصى) تقول : "إنه رأى موفق سديد لأمر المؤمنين ، ونسأل الله أن يتم له ما نوى من بناء بيته ومسجده ويجرى ذلك على يديه ويجعله له مكرمة ولمن مضى من سلفه تذكرة " .

فشرع عبد الملك بن مروان فى بناء مسجد قبة الصخرة المشرفة سنة ٦٥ / ٦٦ هـ / ٦٨٢ م ، فوق وحول الصخرة المشرفة مباشرة وسط الحرم القدسى الشريف ، بتصميم فريد لم يعرف من قبل فى عمارة المساجد الإسلامية ، لىتميز ببساطة التصميم وتناسق الأجزاء ودقة النسب ، وليتفوق على سائر المباني الإسلامية بجماله الأخاذ وفخامته وروعته وإبداع زخرفته ورسومه ، وليشهد بها معظم مؤرخى الفنون الإسلامية والعالمية على مدار الثلاثة عشر قرناً الماضية ، بأن قبة الصخرة من أعظم العمارات الإسلامية وأنها أجمل الآثار التى خلدها التاريخ بل أجمل وأبهى الأبنية الموجودة فوق ظهر البسيطة وأروع ما وصل إليه المجهود الإنسانى فى فن العمارة . وقد بنى عبد الملك بن مروان " قبة السلسلة " إلى اليمين من مكان بناء قبة الصخرة (فوق الصخرة المشرفة) لتكون كما قيل دليلاً للصناع ونموذجاً مصغراً لمسجد قبة الصخرة ، وللاسترشاد به ، إذا وافته المنية قبل إتمام مسجد الصخرة . وقد جاء بناء قبة الصخرة الحالى ، بإشراف أهل البلاد الفلسطينين حسب نموذج " قبة السلسلة " الذى وضعوه ، مع الكثير من التعديلات ، ليخرج البناء بالشكل الذى نراه اليوم ولا زال محافظاً على شكله وعمارته رغم التجديدات والصيانات التى أجريت له لاحقاً .

وقد عهد عبد الملك بن مروان فى إدارة العمل والإشراف عليه إلى اثنين من رجاله ، وهما : رجاء بن حياة الكندى من كبار علماء المسلمين فى عصره ، وكان نبيلاً كاملاً السؤدد ويسمى " سيد أهل الشام " وهو عالم تقى مشهور من أهل بىنان بفلسطين ، ويزيد بن سلام من أهل القدس نفسها ، وهما من الخبراء فيما أسند إليهما . وبعد أن تم بناء

المسجد ، الذى استغرق سبع سنوات ، فى سنة ٧٢هـ / ٦٩١م ، تبقى من المبالغ المخصصة للبناء والعمارة والزخرفة ، مائة ألف دينار ، وعندما أعادها للخليفة عبد الملك بن مروان ، أمر بمنحهما هذا المبلغ ، جائزة لهما على ما بذلاه من جهد متواصل فى الإشراف على بناء مسجد القبة ، فاعتذر ابن حياة وابن سلام عن قبول المبلغ ، بقولهما للخليفة : "إننا أحق وأولى أن نزيد فى ذلك من حلى نسلطنا فضلا عن أموالنا ، فضع هذا المبلغ حيث شئت فى مصالح المسلمين ، فأمر عبد الملك بن مروان - كما يروى مجير الدين بن الحنبلى صاحب " الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل " - بأن تسبك ، هذه المبالغ ذهباً وتفرغ على القبة والأبواب .

والمعروف أن عبد الملك بن مروان لم يدخر مالا أو ذهباً أو فضة فى بناء المسجد أو تصفيحه أو كسوته أو زخرفته ، ولم يأل جهداً فى سبيل بناء مسجد قبة الصخرة وإتمامه بهذه الأبهة والروعة ، فجمع له أمهر الصنائع وجمع له الأحجار والفسيفساء من كل أنحاء الدنيا ، وتم البناء بالكامل سنة ٧٢هـ / ٦٩١م كما هو مدون على القناطر الوسطى للبناء ، وجاء فيه :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنى هذه القبة ، عبد الله عبد الملك بن مروان ، أمير المؤمنين ، فى سنة اثنتين وسبعين . تقبل الله منه ورضى عنه . آمين " .

والطريف ذكره ، أنه قد جرت محاولة لاستبدال اسم الخليفة عبد الملك بن مروان ، باسم الخليفة العباس المأمون (وقد تكون قد تمت فى عهده) فى عبارة تشير إلى تاريخ إنشاء البناء (فى الجزء العلوى من التثمينة الداخلية وتضم آيات قرآنية) ونص العبارة : " بنى هذه القبة عبد الله الإمام المأمون فى سنة اثنتين وسبعين " !! . والمعروف أن سنة ٧٢هـ تقع فى حكم عبد الملك بن مروان ، ولا تقع فى حكم المأمون ١٩٨ / ٢١٨هـ الذى زار مدينة بيت المقدس فى سنة ٢١٦هـ ، كما أن اسم الخليفة المأمون وألقابه مكتوبة بخط ضيق يخالف الخط المستعمل فى سائر أجزاء الكتابة. ويبدو أن الصانع فاته أن يغير التاريخ كما غير الاسم!! أو أنه لم يرد أن يغير التاريخ وأبقى ذلك عمداً ليكشف التعديل وتغيير الاسم فيما بعد !!

وحول دوافع وأسباب عبد الملك بن مروان لبناء وتشيد مسجد قبة الصخرة المشرفة واهتمامه بإظهاره بهذا القدر الفريد من الروعة والأبهة والفخامة والجمال ، فقد تواردت روايات عديدة ، أهمها ما أورده المؤرخون المسلمون من دافعين أو سببين حول ذلك :

الرواية الأولى : أوردها اليعقوبى فقط فى كتاب " البلدان " ، ولم يتفق العديد من المؤرخين المسلمين حولها ، وتقول : عندما ثار عبد الله بن الزبير بالحجاز ضد الأمويين ، وأخذ البيعة لنفسه ، منع عبد الملك أهل مصر والشام من الحج لأن عبد الله بن الزبير كان يأخذهم ، إذا حجوا ، بالبيعة . ولما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة ، فضج الناس وقالوا : تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا ، فقال عبد الملك : هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى " ، وهذه الصخرة التى يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها ، لما صعد إلى السماء ، تقوم لكم مقام الكعبة !! ، لذلك بنى عبد الملك على الصخرة قبة وأخذ الناس يطوفون حولها كما يطوفون حول الكعبة !! .

ويستبعد المؤرخون هذه الرواية ، ويعتبرونها من وضع خصوم بنى أمية من بنى العباس ، واليعقوبى نفسه المتوفى سنة ٢٨٤هـ هو من المنتسبين إلى العباسيين ومعروف للعيان ما بين الأمويين والعباسيين ، ومن غير المعقول أن يقدم رجل مثله على محاولة تغيير أحد أركان الدين الخمسة بتحويل شعائر الحج عن الكعبة فضلا عن أنه يعرف جيدا أن الحج هو الوقوف بعرفة وليس الطواف حول الكعبة فقط !.

الرواية الثانية : أوردها أبو عبد الله بن أحمد البشارى المقدس فى كتاب " أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم " ، وأكد عليها جل المؤرخين المسلمين ، " أن عبد الملك عندما رأى عظمة قبة القيامة وهيبتها ، خشى أن تعظم فى قلوب المسلمين فتصب على الصخرة قبة على ما ترى ... واتخذها للمسلمين مسجدا شغلهم به عنها وجعله من عجائب الدنيا " . وليس غريبا أن يفكر عبد الملك بن مروان فى أن يكون للمسلمين عمائر تضارع ولا تقل

فخامة عن كنيسة القبر المقدس التي جددت بعد أن دمرها كسرى ملك فارس ، قبل الإسلام ، فى البهاء والعظمة وفخامة تليق بمكانة وقنسية الصخرة المشرفة .

وقد تسابق معظم الخلفاء والحكام المسلمين والسلاطين ، على مدار التاريخ الإسلامى ، وفى كل العصور إلى الحفاظ على هذا الرمز الإسلامى الكبير وصيانيته وترميمه وتحريره من كل غاصب ، وتقديم كل ما هو ثمين لخدمة وكسوة وإصلاح وترميم كل ما يصيب قبة الصخرة المشرفة وكذلك المسجد الأقصى المبارك ، وكان لأفضل لقب يطلق على الخليفة أو السلطان فى بلاد المسلمين ، أو أعظم لقب يريد أن يتحلى به السلاطين المسلمون ويفخرون به ، هو : " خادم الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى أولى القبلتين " .

للمبحث الثالث : قبة الصخرة المشرفة ... أجمل الآثار التى خلدها التاريخ

تعتبر قبة الصخرة المشرفة (التي أقامها عبد الملك بن مروان ٨٧٢هـ / ٦٩١م فوق "صخرة المعراج" فى ساحة الحرم القدسى الشريف - ساحة المسجد الأقصى المبارك) والتى لا زالت تتحدى الأجيال كأقدم نموذج لفن العمارة الإسلامية ؛ تعتبر آية فى الروعة والجلال والدقة والجمال فى الفن العربى الإسلامى ، و" أجمل الأبنية على وجه البسيطة" ، وأروع ما وصل إليه المجهود الإنسانى فى فن العمارة و " أجمل الآثار التى خلدها التاريخ " .. هذا ما حملته كتابات ومؤلفات المؤرخين المسلمين وغير المسلمين ، والرحالة على مدى قرون طويلة ، وحتى الآن ، بالاعتراف بهذه الحقيقة والإشادة بها .

وقد قيل - منذ القدم - " إن الله جل جلاله نظر إلى المسجد الحرام بعين الجلال ، ونظر إلى المسجد الأقصى وقبة الصخرة بعين الجمال " . كما قيل " إن الله تعالى قسم الجمال إلى عشرة أجزاء ، منح القدس تسع منها ، ووزع الجزء الباقي على باقى الكرة الأرضية " .

وتصفها الموسوعات الفنية ، ومنها " موسوعة الفن فى العصر الأموى " بأنها أعظم العمائر الإسلامية فى الفخامة وإبداع الزخرفة وتمتاز ببساطة التصميم وتناسق الأجزاء . وتضيف : ... ومن آيات الإعجاز فى تصميم بناء قبة الصخرة أنه روعى فيه أن يكون

فى دائرة دعامات القبة لفت بسيط حتى لا تحجب الأعمدة الواقفة أمام الرأى الأعمدة الأخرى المقابلة لها فى الطرف الآخر ، ولذلك يتسنى لمن يدخل من أى باب من أبوابها أن يرى كل ما فيها من أعمدة وأكتاف ، سواء منها ما كان أمامه تماما أو ما كان فى الجهة المقابلة .

ويضيف أحد الكتاب (ياقوت الحموى) إلى كلام الموسوعة ، من ناحية أسلوب تصميم القبة ، " من أعظم محاسنه أنه إذا جلس إنسان فى أى موضع منه يرى أن ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأشرحها " . ووصفها البروفيسير هارتمان بأنها " نموذج من التناسق والتانسجام " . وتقول الموسوعة الإسلامية " إن التناقص فى تناسبها وغنى زخارفها وكسوتها يجعل من قبة الصخرة أحد أجمل المباني فى العالم " . ويضيف غوستاف لوبون على ذلك : " إنه أعظم بناء يستوقف النظر ، إن جماله وروعته مما لا يصل إليه خيال الإنسان " .

أما فيرغسون فيقول : " لم أكن أتوقع مطلقا أن أرى مثل هذه العظمة الساحرة والفتنة الفائقة فى هذا البناء الذى فاق تاج محل وغيره من المقابر الملكية ، وأن ما فيه من التناسق والجمال الذى لا نظير له ليفوق كل أثر آخر فى العالم " . ويقول المهندس حسين الشافعى (كبير المهندسين المصريين الذين أشرفوا ، فى عام ١٩٦٤م ، على تجديد وترميم مسجد قبة الصخرة) : " إن القبة تحوى على دقة وروعة فى الفن العربى الإسلامى تفوق كل ما فى أهرامات الجيزة وغيرها ، ولولا التعصب الأعشى ضد كل ما هو عربى إسلامى ، لاعتبرت قبة الصخرة إحدى عجائب الدنيا وغرائبها ، وذلك يستلزم تمجيد القدرة والمهارة العربية الإسلامية والتحدث عنها وأوروبا المتعصبة لا تريد ذلك " . ويضيف على ذلك كرزويل : " إن لقبة الصخرة المشرفة أهمية ممتازة فى تاريخ العمارة الإسلامية فقد بهرت ببهائها ورونقها وفخامتها وسحرها وتناسقها ودقة نسبها كل من حاول أن يدرسها من العلماء " . والمعروف أن كرزويل هو أحد الذين أجروا أهم الدراسات — إضافة إلى مارجرى فان برشم — على قبة الصخرة وزخارفها . وتقول برشم فى وصفها لجمال الفسيفساء فى عمل الزخارف : " ليس من قبيل المبالغة أن نقول بأن هذه المجموعة الزخرفية فريدة من نوعها فى العالم ، ليس فقط بجمالها ، ولكن لأن هويتها الأموية تعطيها أهمية أكثر ضخامة من أى الآثار التصويرية الباقية من العصر الأموى

مما وصل إلينا حتى اليوم . وتضيف : " لعل عظمة قبة الصخرة وجمالها هما فى تخطيطها وتصميمها من بساطة وتناسق تجعلها حقا مفخرة العمارة الإسلامية " .

وعن فسيفاء البناء والفنانين الذين أنجزوه ، تقول مارغريبت فان برشم : " من نباهة وأساليب هؤلاء الفنانين أنهم تجاوزوا بمهارتهم كل ما تم فى هذا المجال فى الغرب . إن دراسة للفسيفاء والجدران فى العصور الوسطى فى الغرب ، تسمح لى أن ألقى هذا الحكم " .

ويتابع د. عفيف بهنسى هذا الرأى (فى دراسته " الفن العربى الإسلامى فى بداية تكوينه ") فيقول : " إن تنفيذ هذا الفسيفاء الرائع قد تم من قبل المواطنين أنفسهم من سكان البلاد سواء كانوا من المسلمين أو ممن حافظ على دينه واعتبر ذميا ، له حصانته ودوره فى بناء المجتمع الجديد " ، ويوضح " أن أحجار الفسيفاء كانت صناعة محلية أيضا " . ويضيف د. بهنسى : إن هذه الكتابة - الفسيفسائية - مع كتابات قرآنية أخرى ، تعتبر أقدم ما كتب من خط عربى جميل ، ومن أهم خصائص هذا الفن اعتماد المسار الهندسى فى رسم الحروف بالدقة والبراعة التى تسمح بها مادة التنفيذ الفسيفسائى . لقد كان هذا الخط منطلقا للخط الكوفى من جهة والخط الثلث اللين من جهة أخرى ، فنرى محصلة مسبقة لهذين الخطين اللذين تفرعا عنه ، كما تفرع عنه أنماط كثيرة من الخطوط .

وكان شيخ الخطاطين العرب المرحوم محمد صيام قد أعرب عن إعجابه البالغ بجمال الكتابة للآيات القرآنية الكريمة على جدران البناء وفى السقف الداخلى للقبة وعن تأثير ذلك فى موهبته (فى مقابلة خاصة مع مجلة " فلسطين الثورة " قبل وفاته ، حيث عاش وتوفى فى مدينة القدس نفسها) ، قائلا : " خذ مثلا " سورة يس " المكتوبة على قبة الصخرة ، أخذت منى وقتا طويلا وأنا أحدق فيها ، وفى كل مرة لا أمتنع عن النظر إليها ، إلا حينما تؤلمنى رقبتى فقط ، من طول النظر إلى أعلى " .

أما الموسوعة الفلسطينية فقد وصفت القبة - بكل تواضع وشمول من آن واحد ، قائلة : " إن قبة الصخرة فى هندستها وشكلها وزخرفتها كانت وما تزال من أجمل وأروع المباني التى أنتجتها بها العالم ، ولما يوجد فى مباني العالم ما يفوقها أو يضارعها بهاء وروعة وجمالا ، فزيادة على زخرفة سقفها المذهبة وجدرانها الرخامية ونوافذها

الزجاجية، فإنها تفتن العين بالفسيفساء وجمال تآليفها وألوانها التي جاءت كلها على أحسن تناسق وانسجام وبالأشكال المختلفة التي استعملت والأساليب والألوان وبقية الصنع التي بلغت الحد الأعلى من الكمال ، كل هذا جعل من قبة الصخرة أثراً فريداً في تاريخ الفن " .

لقد كتب الصحافي البريطاني تيرى كولمان (صحيفة " الجارديان " البريطانية) مشاهداته وانطباعاته عن زيارته - في ديسمبر/ كانون أول من عام ١٩٨٥ - فيقول " عرفت أنني غير متأثر كثيراً "بالعهد القديم" (التوراة والأسفار الخمسة) فالكلام عن أن داود كان هنا ، وداود كان هناك . وما قاله الدليل السياحي من أن آدم وحواء دفنا في الخليل ، كلها حكايات لا يملك المرء إلا أن يبتسم لها ... وبعد بضعة أيام لم أشعر بأى حزن إزاء مشاهدة " حائط المبكى " ، ولكن مسجد عمر (رضى الله عنه - المقصود مسجد " قبة الصخرة المشرفة ") المقام بالقرب منه كان أكثر أهمية بالنسبة لى . وتحت القبة الذهبية العظيمة توجد الصخرة وهى الصخرة التي عرج من فوقها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى السماء ولا يستطيع المرء إلا أن يحس بالخشوع داخل هذا المبنى المذهل ، وأقولها بصراحة : إننى لم أحس بالخشوع إلا فى هذا المكان " ! .

وتناول المؤرخون والكتاب وعلماء الآثار والفنون وحتى الرحالة والمستشرقون أوصاف بيت المقدس ودرته المكنونة الحرم القدسي الشريف بمسجده الأقصى وقبته المشرفة من كافة الأوجه ، وقد أجمعوا على أن قبة الصخرة من أجمل الأوابد الشهيرة فى التاريخ وهى من أجمل الأبنية الموجودة فوق سطح البسيطة ، إنها عبقرية فى البناء وجمال فى تناسق الأبعاد ، وفى المعمار بنيت الأركان والأعمدة محروفة ، حتى لتظهر أمام الداخل إلى المسجد من أى جهة كل أطراف المكان ، فلا يقاطع بصره شئ من الأبنية ، هذا يظهر المكان أفسح وأكثر اتساعاً مما هو حقيقة . روعة فى الكساء الداخلى والخارجى ... كسيت جدرانه بالرخام الرمادى المعروق ، وبالقيشانى ، والخزف المزين المرقش بالأبيض على خلفية زرقاء ، وفى الداخل كسيت الجدران بأبهى وأثمن أنواع الرخام الملون ، وفسيفساء الزينة ، أنيقة ، دقيقة فى نقوشها : أشجار نخيل تتفرع منها قطوف بلح دانية ، أكاليل أزهار تلتف حولها الأوراق ، دوالى عنب ممتدة إلى عالى

الأركان أو منتشرة على توشیحات القناطر ، أغصان وأوراق نبات تزینها سلاسل ذهبية وصدفية منتشرة على الجدران ، وقلائد أزهار ملبسة باللكيء ...

يقول أبو عبد الله بن أحمد المقدسی فی كتابه " أحسن التقاسیم فی معرفة الأقالیم " :
" إذا بزغت الشمس علیها ... أشرقت وتلألأت المنطقة ... ورأیت شیئا عجبا ... ومجمل القول إننی لم أر فی الإسلام ولا سمعت فی الشرق عن مثل هذه القبة " .. إنها فعلا ... بلغت حد الكمال والبهاء والروعة ، لا مزيد علیہ ... وأجمل الآثار التي خلدها التاريخ .

المبحث الرابع : قبة الصخرة المشرفة .. عبقرية فی تصميم البناء وإبداع فی كسوته وزخارفه

قبة الصخرة المشرفة بناها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٧٢٢هـ / ٦٩١م) حول صخرة المعراج المشرفة ، كصرح معماري إسلامي جميل ، بسيط وبديع ، فريد الطراز لتمجيد الصخرة وتعظيمها ، فی أعلى بقعة تتوسط ساحة الحرم القدسی الشريف (ساحة الأقصى المبارك).

يتكون بناء قبة الصخرة المشرفة من بناء مضلع مئمن الشكل ، قوامه " تئمينة خارجية " من الجدران ، تليها من الداخل " تئمينة " أخرى من الأعمدة والأكتاف (الأساطين / الدعامات) ، داخلها أيضا " دائرة " من الأعمدة والأكتاف ، وفوق الدائرة الداخلية التي تحيط بالصخرة المشرفة ، " قبة " مرفوعة على " رقبة " (أسطوانة) فيها ست عشرة نافذة مفتوحة (من ٣٢ نافذة فی الجدار) . و " القبة " خشبية مزدوجة الكسوة ، مكسوة من الداخل بطبقة من الجفت المذهب المزخرف ، وكانت القبة مكسوة / مغطاة من الخارج بطبقة من النحاس المذهب ، ثم استبدل النحاس بالرصاص ، ثم بعد إصلاحات وترميمات عام ١٩٦٤ ، استبدل بالألومنيوم المذهب ، وفي عام ١٩٩٤ تم ترميمها من جديد وتكسيتمها بالنحاس المذهب بطبقة من الذهب الخالص .

وقد بلغ التناسق والانسجام بين هندسة البناء المعمارية ، وبين كسوته الداخلية المنمقة بالفسيفساء والزخارف والرسوم والآيات القرآنية وطبقة الرخام الملون ، وكسوته الخارجية المنمقة بالرخام والخزف (القيشاني) والنقش والزخرفة والآيات القرآنية

بالخطوط العربية الأصلية ، بلغ قمة الإعجاز والعبقرية ، والإبداع والدقة ، والجمال والجلال ، والروعة والبهاء ، مالا مزيد عليه .

هندسة العمارة وتصميم البناء

المسجد عبارة عن مضلع ثمانى الشكل من الجدران (داخله مضلع مثنى آخر من الأعمدة والدعائم) ، يبلغ طول ضلعه (جداره) الخارجى ٢٠,٥٩ م ، وارتفاعه ٩,٥٠ م ، إضافة إلى التصوينة فوق الجدران ويبلغ ارتفاعها ٢,٦٠ م ، وجميع أضلاع المبنى الثمانية متساوية . وفيه أربعة أبواب تفتح على الاتجاهات الأربعة ، فى أربعة جدران خارجية ، يبلغ عرض كل من الأبواب ٢,٥٥ م × ارتفاع ٤,٣٥ م. الباب الشمالى واسمه " باب الجنة " ويقابل باب فيصل فى سور الحرم . الباب الشرقى ويسمى " باب داود " ويقع فى اتجاه " قبة السلسلة " النموذج الأول التى بنيت عليه قبة الصخرة . الباب الجنوبى ويقابل المسجد الأقصى والكأس التى أمامه ، وهو أكبر الأبواب بقبة الصخرة وأغناها نقوشا وزخرفة وتقوم مظلة مدخله على ثمانية أعمدة رمادية اللون مشجرة (رخامية) ، تيجانها كورنثية وقواعدها مكعبة لونها أبيض ناصع . الباب الغربى ويسمى " باب القطانين " ويقع قبالة باب القطانين وباب المظهرة على سور الحرم وكذلك مقابل سبيل قايتباى.

ويقع فى كل ضلع / حائط (من غير ذات الأبواب) سبع نوافذ ، خمس منها يخترقها الضوء ، أما التى على أقصى جانب الحائط - من كل طرف - فهى مغلقة . وكذلك فى الأضلاع / الحوائط التى بها الأبواب : أربع نوافذ مفتوحة يخترقها الضوء ، واثنان مغلقتان . وقد أعطى نظام الإضاءة ، حيث لا تدخل أشعة الشمس مباشرة إلى داخل المسجد ، أعطى شعورا خاصا للرأى ملؤه الإعجاب والانبهار والخشوع أمام هذا الإبداع والإتقان والإعجاز . وتكمن براعة هندسة البناء فى أن الداخل من أى باب من الأبواب الأربعة للمسجد يستطيع أن يرى جميع ما فى داخل البناء من الأعمدة والدعائم (الاكتاف) فى كل أطراف المكان ، وقبة وصخرة وساحات وأبواب ، تظهر أمامه مباشرة ولا يقاطع بصره أى شئ ، ولا يحجبها من نظره أى حاجب أو قاطع . وقد روعى عند البناء ، أن يكون فى دائرة دعائم القبة لفت بسيط ، حتى يظهر للرأى كل ما بها وما تحتويه من

أعمدة أو عقود وقبة وصخرة وأبواب ، ويعتبر رجال العمارة الحديثة ذلك من آيات الإعجاز فى تصميم بناء قبة الصخرة المشرفة ، وإلى الداخل يوجد تهيئة داخلية (مئمن الأضلاع) تتكون من ثمانى قناطر ثلاثية العقود (الأقواس) محمولة على ثمانى ركائز (دعائم) و١٦ عمودا ، وهى تحمل سقف البناء ، ويبلغ طول كل قنطرة من هذا المضلع ١٤,٤٥ م. وقد نتج عن تشييد المئمن الداخلى وجود رواقين - على جانبيه - داخلى وخارجى ، يغطيهما سقف من الخشب مزوج للكسوة ، وقد خصصت هذه الأروقة للصلاة ولمرور الناس حول الصخرة.

ويتوسط التئمينتين ، الخارجية والداخلية ، وتحيط بالصخرة المشرفة ، دائرة من الأعمدة والأكتاف ، ترتفع عليها القبة بعلو يصل إلى ٣١,٥ م ، كما يرتفع فى أعلى القبة هلال طوله أربعة أمتار . وترتكز القبة على رقبة (أسطوانية) قطرها ٢٠,٤٤ م ، وبها ١٦ شباكاً. وهذه الدائرة الداخلية التى تحمل الرقبة والقبة وتحيط بالصخرة ، تتمثل فى ١٢ عمودا و٤ ركائز (دعائم) تظهر من الخارج (بطول ارتفاع رقبة القبة) ، والركائز مستطيلة الشكل ، طول كل منها ٣ م. وتتصل رؤوس الأعمدة والركائز (من داخل البناء) بقناطر رباعية العقود (ويقع بين كل ركيزتين ثلاثة أعمدة). وقد استطاع البناء العربى أن يكسر الأضلاع الثمانية إلى أنصاف أضلاع فحصل بذلك على ستة عشر ضلعاً قصيراً ليصبح دائرة ، والاعتماد على رسم دائرة داخل مئمن وهو ابتكار جديد فى تصميم المساجد والعمارة الإسلامية ، وربما كان وراء اختيار هذا التصميم رغبة عبد الملك بن مروان فى تشييد مبنى (مسجد) يحيط بالصخرة المقدسة ويصلح مزاراً للمسلمين ، ويضاهى ويتفوق على تصميم بعض الكنائس التى كانت موجودة ببلاد الشام ، فليس لمسجد قبة الصخرة شبيه من قبل ولا من بعد ، سواء فى تصميم عمارته التى أوضحنها أو حتى بزخرفته وكسوته البديعة النادرة التى سنوضحها لاحقاً.

صخرة المعراج

فى وسط الصخرة المشرفة ، وفى مركز البناء المئمن ، وتحت القبة مباشرة ، توجد الصخرة المشرفة وهى غير منتظمة الشكل ، يبلغ طولها الخارجى من الشمال إلى الجنوب ١٧,٧٠ م (٣٥ ذراعاً تقريباً) ، وعرضها من الشرق إلى الغرب ١٣,٥٠ م (٢٧

ذراعا) ، وأقصى ارتفاع لها عن مستوى أرض البناء ١,٥م ، وحجر الصخرة مكسو بالرخام الملون على ارتفاع ذراعين ، وأحيطت بسور خشبي من الأبنوس بديع النقش والزخرفة ، ارتفاعه ٢ م وفيه فجوات تظهر منها الصخرة مضاءة بالكشافات . وفي آخر الصخرة المرخمة ، من الشمال الغربي ، حجر صغير على ستة أعمدة صغيرة يعتقد أنه أثر قدمي النبي (صلى الله عليه وسلم) عند معراجة من هذه الصخرة إلى السماء . والحديث النبوي الشريف يقول : " صليت ليلة أسرى بى إلى بيت المقدس على يمين الصخرة " ، وفي حديث آخر " صخرة بيت المقدس من صخور الجنة " . وقباله القدم المشار إليه ، توجد مرآة من سبعة معادن تسمى " درقة حمزة " وهى محمولة على ثلاثة أعمدة جميلة ، منها اثنان (زوجان فى جسد) ومحراب " قبلة الأنبياء " الذى يصلى به أمام الصخرة يقع (على يمين الداخل من باب المسجد القبلى / الجنوبى) داخل السور الخشبي الأبنوسى المذكور آنفا . وتجاه المحراب يوجد باب " مغارة الصخرة المشرفة " (مسجد الغار / الكهف) بابه فى الجنوب الشرقى تحت الصخرة ، وأقيم على مدخله قوس (عقد) رخامى جميل محمول على عمودين ، ينزل منه - من الرواق الداخلى للمسجد إلى باطن المغارة - ست عشرة درجة رخامية ، توصل إلى " الغار الشريف " وهو أشبه بكهف كله من الرخام أبعاده ٤,٥ × ٤م وسقفه يرتفع قرابة ٤م (وفيه ثغرة سعتها نحو المتر) .

وفى داخل مسجد الغار الشريف (تحت الصخرة) محرابان صغيران باسم سيدنا إبراهيم وسيدنا الخضر عليهما السلام ، ويعتبر أحدهما من أقدم العناصر المعمارية فى البناء ويعود إلى عهد عبد الملك بن مروان نفسه ، ويعتبره بعض المؤرخين أقدم محراب فى الإسلام . ويتبارك زوار قبة الصخرة المشرفة بالصلاة فى مسجد الغار الشريف والدعاء فيه .

كسوة قبة الصخرة وزخارفها

حظيت قبة الصخرة المشرفة بكسوة فنية سيفسائية ورخامية وقيشانية وبزخرفة ورسومات وكتابات بديعة نادرة منسجمة مع بعضها فى وحدة فنية متناسقة متجانسة ، دخلت فيها معظم أنواع الفنون (عدا التى نهى عنها الإسلام مثل صور الإنسان

والحيوان). فاستخدمت في كسوتها ، سواء الخارجية أو الداخلية ، مساحات واسعة من الفسيفساء الزجاجية المذهبة أو الملونة بألوان مختلفة متجانسة ، غنية بالرسوم النباتية والأشكال الهندسية إضافة إلى لوحات تجريدية منفصلة ومكملة لمحيطها . كذلك كسيت مساحات واسعة من الجدران بالرخام المنحوت والمصقول إضافة إلى الخشب المزخرف والمذهب ، كما غطيت مساحات أخرى بكتابات عربية ، بحروف وخطوط مذهبية وفسيفسائية ، وعلى الزجاج والخزف . كل هذا التناغم والتناسق والانسجام تم باختيار دقيق وبطريقة بارعة وأسلوب بديع ، فيجد الرائي أن كل قطعة فنية وضعت في مكانها المناسب والصحيح . وتبلغ المساحة المزخرفة بالفسيفساء - داخل المسجد - أكثر من ١٢٠٠ م^٢ وهذه وحدها تعتبر عملاً فريداً من نوعه في العالم.

كسوة البناء الخارجية

تكسو جدران بناء القبة ، المثلث الشكل ، من الخارج ، حلة فنية زاهية تأسر الأنظار ، فالجزء الأسفل منه مصفح بألواح الرخام الأبيض الجميل ، والجزء الأعلى كان مغطى بطبقة من الفسيفساء أزيلت في العصر العثماني ، واستبدلت بالقيشاني في فترة حكم سليمان القانوني . والجزء الأعلى من الجدران (وهو حوالي ثلثي الارتفاع ويضم النوافذ والتصوينة التي تعلوها) زين بالقيشاني (الخزف) الملون بأرضية زرقاء وكتابات ونقوش وزخارف هندسية ونباتية وكتابات مختلفة بألوان بيضاء وخضراء وصفراء ، تعلوها - بأعلى الجدران - " سورة يس" بالخط الثلث المركب وباللون الأبيض على أرضية زرقاء . أما رسومات وزخارف النوافذ الزجاجية - في الواجهات الثمانية - فجاءت كلوحات فنية بألوان منسجمة غاية في الجمال والروعة ، بحيث تتشابه كل نافذتين متقابلتين في كل واجهة أضلع ، وتركزت فتحات دائرية في كل نافذة لينفذ منها الضوء إلى الداخل ، وكل ضلع من الأضلاع الثمانية يختلف في ترتيب ألوانه ونقوشه وزخارفه بحيث يظهر كل ضلع كعمل فني مختلف لكنه منسجم مع الأضلاع الأخرى . أما الأبواب الأربعة للمسجد فالصقت على جدرانها عدة ألواح رخامية بيضاء ورمادية مشجرة تتخللها أشكال هندسية وتجريدية من رخام غامق اللون.

وتظهر "رقبة القبة" الأسطوانية - من زخارفها الخارجية - وكأنها عبارة عن ٣٢ نافذة موصولة ببعضها البعض ، تبرز منها للخارج قليلا ، الركائز (الدعامات) الأربع المستطيلة التي ترتفع عليها الرقبة ومن فوقها القبة ، وهناك فقط ست عشرة نافذة (من مجموع الـ ٣٢) يخترقها الضوء ، وهى صغيرة الحجم. ويعلو النوافذ ، فى أعلى الرقبة ، مساحة كتبت عليها سورة "الإسراء" باللون الأبيض على أرضية زرقاء وبخط الثلث المركب .

القبة .. تبقى ذهبية

والقبة مؤلفة من طبقتين خشبيتين ، ومتكئة على الرقبة الأسطوانية ، بينهما فراغ به مواد عازلة للحرارة (لباد) ، ألصق على الطبقة الخارجية منها ألواح الألومنيوم مذهب (١٠٢٠٠ لوح) تتوج بناء مسجد الصخرة ، وكانت عند إنشائها من الخشب المكسو بالنحاس المذهب ، حتى القرن التاسع الميلادى ، حيث كسيت بالرصاص القابل للتمدد ، وظلت كذلك حتى الإعمار الشامل الذى تم فى العام ١٩٥٧ - ١٩٦٤ حيث أصبحت من الألومنيوم المذهب (المطلى بالذهب) ، بعد أن أصيبت بالقنابل الإسرائيلية فى حرب ١٩٤٨.

وجرت للقبة عدة إصلاحات وترميمات جديدة للحفاظ على القبة ومسجد القبة الذى يحوى "صخرة الإسراء والمعراج المشرفة" ، حيث شهدت القبة تشققات أدت إلى تسرب المياه عبرها إلى داخل المسجد . وقد طالبت لجنة إعمار القدس (فى كتاب "كنوز القدس" الصادر عن منظمة المدن العربية ، ١٩٨٣ (لمجموعة مؤلفين) ، بإجراء بعض الإصلاحات والترميمات العاجلة ، ومن هذه الترميمات المطلوبة : "تغيير القبة الألومنيوم الخارجية بتصفيح جديد من (ألواح الرصاص - حسب رأى اللجنة وقتها - يركب على ألواح من خشب الأرز قياس ٢,٥ سم × ٢٥ سم تركب قطريا " ، وإصلاحات أخرى فى جوانب مختلفة .

التكسية بطبقة من الذهب الخالص

ومن جهة أخرى ، وضعت مديرية أوقاف القدس خطة لتنفيذ عملية ترميم قبة الصخرة المشرفة ، استغرق اتخاذ قرار بشأنها وقتاً طويلاً ، لأسباب فنية وأخرى مادية !! ، ويقول المهندس عدنان الحسيني - موضحاً طريقة الترميم التي ستتبّع - " إنه سيتم طلاء قبة الصخرة بطريقة كهرومغناطيسية بطبقة من الذهب على ألواح من النحاس " (تقدر التكلفة بـ ٧,٠٢ مليون دولار لمرحلة الترميم الأولى والتي تشمل ترميم القبة وتركيب جهاز إنذار مبكر وترميم الأروقة ، وستشارك في عملية الترميم إحدى الشركات البريطانية المتخصصة) . ويوضح المهندس عصام عواد من لجنة إعمار الأقصى ، كيفية الترميم ، قائلاً: "سنستبدل كسوة القبة - بدلاً من الألومونيوم المذهب - بألواح نحاسية وستطلى بذهب حقيقي ، وذلك ليس للبهرجة وإنما سيوضع الذهب كحل عملي وعلمي" . ويضيف شارحاً: " ذلك على أساس المحافظة على نفس اللون الأصفر (اللون الذي انطبع في أذهان الأجيال المعاصرة له) ، لأن النحاس يتأكسد ويصبح لونه بنياً ، أو يضطر في كل مرة إلى تلميعه ، إضافة إلى أن عملية التلميع ستأخذ جزءاً من سماكة طبقة ، لذا ستطلى القبة بطبقة من الذهب سماكتها ٠,٠٠٢ مم (٢٠ ميكرون) على مساحة ١٢٠٠ متر مربع مساحة سطح القبة ، تستهلك حوالي ٨٠ كيلوجراماً من الذهب ، والمشروع يشمل القبة وأسقف الأروقة" (وقد فرغت اللجنة من أعمالها قبيل قدوم ذكرى الإسراء والمعراج ، ليتم الاحتفال بها ، والقبة مكسوة بالذهب الخالص) . ويوضح عصام عواد : " كما سيوضع هيكل خشبي جديد ويرفع الخشب المزخرف مؤقتاً ، ويعاد بعد الترميم بالإضافة إلى جهاز إنذار مبكر حتى تمنع احتمالات الحرائق المفاجئة ! ، فالجيش الإسرائيلي لا يتورع عن إلقاء قنابل داخل البناء وسبق أن أطلقت قنابل من أنواع مختلفة لذا يجب الحفاظ على قيمة هذا الأثر" ! ، وأضاف : "إننا في حالة صراع حول تهويد القدس ، لذا يجب أن نؤكد ، من خلال صيانتنا لمقدساتنا ، الحفاظ على هوية المدينة العربية الإسلامية ، وفي مقدمتها قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك وساحة الحرم القدسي الشريف " .

كسوة البناء الداخلية

لا تزال قبة الصخرة المشرفة غنية بزخارف الفسيفساء فى كثير من أرجائها الداخلية (رغم ما أزيل منها - من الخارج - واستبدل بالقيشانى) . وقوام هذه الزخارف رسوم الفاكهة والأشجار والأوانى التى تخرج منها الفروع النباتية ورسوم الأهلة والنجوم مكسوة بالفسيفساء ذات الفصوص المتراسة بأشكال زخرفية وألوان متجانسة تميل إلى زرقاء هادئة . وتحتوى قبة الصخرة على كتابة كوفية قوامها آيات قرآنية طولها ٢٤٠ متراً من الفسيفساء المذهبة على أرضية زرقاء داكنة (أعلى التثمنية الداخلية) ، وكذلك الروابط الخشبية الضخمة التى تربط تيجان الأعمدة (لتزيد قوة احتمال الأقواس ومقاومتها لهزات الزلازل) بعضها ببعض ، حليت بصفائح معدنية فيها نقوش بارزة غاية فى الدقة والإبداع.

كسوة الجدران المثمنة

من الداخل تكسو الجزء السفلى من جدار البناء المثمن ، كمثيله من الخارج ، ألواح الرخام الأبيض والرمادى المشجر ، تتخلله إطارات وأشكال هندسية من الرخام الغامق اللون ، والأبواب صنعت بطريقة مزدوجة من خشب ثمين مكسو بصفائح الرصاص ، أما الشبابيك والنوافذ المزججة فقد زخرفت بألوان وأشكال دقيقة ومتعددة ، يختلف كل منها عن الآخر فى الزخارف والألوان والآيات القرآنية ، فقد نسخ على كل نافذة آية من القرآن الكريم جعلها تنفرد بزخارفها عن غيرها من باقى نوافذ البناء ، كما دون على الجدار أسماء وتاريخ التجديدات والإصلاحات والترميمات التى حدثت لقبة الصخرة . ومعظم النوافذ "المزينة بالذهب" صنعت بأمر السلطان سليمان القانونى كما جدد أبوابها وجاءها بقطع القيشانى من جميع بقاع الأرض ، وقد دون على جانب الباب الشمالى لمسجد قبة الصخرة (المعروف بـ "باب الجنة") كتابة نقشت بالذهب على لوحة نحاسية ، جاء فى نصها : " قد جدد بحمد الله قبة الصخرة من بيته المقدس الفائقة ببنائها ، فى ظل دولة السلطان الأعظم والخاقان الأكرم واسطة عقد الخلافة بالنصر والبرهان أبو الفتوح سليمان خان " (٩٥٠ هـ / ١٥٤٣م) .

كسوة التتمينة وزخارفها

يتكون المثنى الأوسط (التتمينة الداخلية) من ثمانى دعائم مكسوة بالرخام المعرق وستة عشر عموداً رخامياً ملوناً مرتبة بحيث يفصل بين كل دعائتين منها ، عمودان ذات تيجان مختلفة الطراز . وصبغت تيجان الأعمدة الكورنثية الطراز باللون الذهبى وأقيت قواعدها المكعبة ببضاء ناصعة . ويعلو هذه الدعائم والأعمدة عقود زينت بطنياتها وتواشيحها (جدرانها) بطبقة من الفسيفساء قوام زخارفها عناصر من رسوم نباتية مختلفة بألوان متجانسة ومذهبة ، وبين الأعمدة أوتار وروابط خشبية مكسوة بالبرونز بنقوش كلاسيكية مذهب غنية بالزخارف الشرقية ، وتعلو الروابط الخشبية قناطر تزينها فصوص مذهب . ورصبت القناطر الوسطى ، من الداخل والخارج ، بالفسيفساء الزجاجية المزينة بالفص المذهب البديع بأنواع التشجير والتتميق. فهى تحوى أشكالاً متعددة للنباتات : النخيل والعنب ، وأكاليل الزهور وقطوف البلح الدانية ودوالى العنب الممتدة إلى أعلى الأركان أو المنتشرة على توشیحات القناطر ، وأكاليل أزهار وأغصان وأوراق نبات فى سلاسل ذهبية وصدفية تتفرع وتنتشر على الجدران. وفوق القناطر الوسطى سقف خشبى مائل (للرواقين الداخلى والخارجى) ، جمالون من الخشب مزوج الكسوة ألواح الخشبية ثمينة زخرفت بأشكال هندسية جميلة عليها نقوش مختلفة من الباطن (داخل البناء) وعليه ألواح من الرصاص من الخارج (سقف البناء المسجد المثنى من الخارج).

وهذه الزخرفة تنقسم - بحسب تاريخ صنعها إلى ثلاثة أقسام واضحة الأسلوب ، منسجمة بعضها البعض وتؤلف وحدة بديعة متناسقة ، وهى :

١- زينة التوشیحات وبواطن قناطر المثنى الأوسط من الداخل والخارج رصد فيها تاريخ البناء (عبد الملك بن مروان : ٧٢ هـ) وآيات قرآنية بالحروف الكوفية المبكرة ، تمتد على طول ٢٤٠ متراً بلون ذهبى على أرضية زرقاء على رؤوس القناطر المحاذية للمطاف (الرواق) الخارجى . وتعتبر هذه الكتابات وثنائق تاريخية لأول الكتابات العربية الفنية . والفسيفساء المحيطة بالكتابة شبيهة جداً ، حجماً وشكلاً وأسلوباً ، بتلك المؤرخة سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م عند الانتهاء من إقامة البناء ، ولا شئ يدل على انفصال الواحدة عن الأخرى مما يؤكد صنعها فى زمن واحد ومعاصرتها لتاريخ البناء نفسه.

٢- زينة الوجه الخارجى لقناطر الرواق الداخلى المستدير (الحامل للقبة) وهى من الرخام الملون المرصع بالفسيفساء ، وهى غير مؤرخة وبدون كتابات .

٣- الفسيفساء التى تزين الجزء المجدد والمعمّر فى عهد الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمى (٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م) ، إثر حدوث زلزال سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، فى زمن والده الحاكم بأمر الله ، سقطت بسبب بعض أجزاء قبة الصخرة المشرفة ، وكانت وقتها مغطاة من الخارج بالرصاص ومن الداخل مكسوة بالفسيفساء . وثم إعمارها على يد " على بن أحمد " (المنقوش اسمه على الخشب الموجود فى دهليز دائرة القبة) . وظل الكثير من إعمار الظاهر لإعزاز دين الله ، قائما إلى منتصف القرن العشرين الميلادى كالعقود التى تحمل القبة والفسيفساء المذهبة والرواق الأوسط بأعمدته وما يعلوها من أقواس .

دائرة الرقبة والقبة

أما الدائرة الداخلية فى البناء ، دائرة القبة التى تحيط بالصخرة المشرفة ، فقد بنيت من الأعمدة الرخامية والأكتاف (الدعائم) الرخامية البيضاء ، وبين كل دعائمين ثلاثة أعمدة من الرخام الملون ، وتحمل ٤ عقود (أقواس) من ترابيع الرخام الملون (الأبيض والأسود) بحيث يعقب كل حجر رمادى فاتح فى كل عقد حجر غامق . أما القناطر التى تركز عليها رقبة القبة ، فقد رصعت من الخارج (من ناحية الرواق الأوسط) بالفسيفساء دون كتابات ، أما من الداخل (وإلى أعلى) وهى رقبة القبة التى تحملها الدعائم ، وهى مساحة واسعة مكسوة بالفسيفساء ذات الفصوص المتراسة بكتابات وأشكال زخرفية قوامها أوانى الزهور والأشكال اللتوانية والفروع النباتية بألوان متجانسة تميل إلى زرقه هادئة غاية فى الجمال والروعة ، تعلوها - أعلى الرقبة - ست عشرة نافذة مفتوحة (من ٣٢ ظاهرة) مزخرفة بالقيشانى من الخارج - خارج المسجد ، ومكسوة برخام معرق وزخارف جصية ، بها زجاج مزخرف بأشكال هندسية دقيقة من الداخل . ويعلو النوافذ كورنيش من الرخام عليه نقوش مذهب تركز عليه القبة . ويفصل زخرفة القبة الداخلية عن الرقبة ، قنطرة دائرية صغيرة العقود أقواسها مركبة (تتفذ من جدرانها أربعون نافذة صغيرة تعلوها ٥٦ طاقة أقل اتساعا من النوافذ ، وتطل على داخل المسجد) . وفوق

الأقواس المركبة بقليل لوحات منفصلة مكتوبة بالخط الثالث المركب وبحروف ذهبية بارزة تثبت تواريخ التجديد وأسماء مصلحيها ، ويظهر مكتوبا على أحد جوانبها التجديد والإصلاح الذى تم فى عهد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي ، ويقول النص : " بسم الله الرحمن الرحيم أمر بتجديد وتذهيب هذه القبة الشريفة مولانا الملك الناصر العالم العادل العامل صلاح الدين بن يوسف بن أيوب تغمده الله برحمته وذلك فى شهر سنة ست وثمانين وخمسمائة" .

والقبة التى تأخذ شكلا نصف بيضاوى ، مكسوة ومزينة من الداخل بطبقة من الجص المذهب المزخرف بمجموعة من الفصوص الذهبية البارزة على الطريقة العربية الإسلامية ، بألوان مختلفة آية فى الجمال والدقة والإبداع الفنى وكتبت فى أعلاها آية الكرسي.

مسك وعنبر

يقول أبو محمود أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال بن تميم بن سرور المقدسى (المتوفى ٧٦٥هـ / ١٣٦٤م) فى كتابه "مثير الغرام بفضائل القدس والشام" عن اهتمام أهل القدس بقبة الصخرة : "بلغ من تعظيم المسلمين قبة الصخرة أنهم كانوا فى كل يوم اثنين وخميس يطحنون الزعفران ويمزجونه بالمسك والعنبر والماء وردى الجورى ، ويخمرون هذا المزيج ليلا ، وفى الغداة يأمرؤن الخدم فيدخل هؤلاء الحمام ويغتسلون ويتطهرون ثم يرتدون الثياب النظيفة ويأتون إلى مسجد الصخرة ، حاملين ما تخرم بالأمس ، وبعد أن يغسلوا الصخرة يأتون بمجامر الذهب والفضة ، فيها العود والند الممزوج بالمسك والعنبر ، فيرخون الستور حول الأعمدة كلها ، ثم يحملون البخور ويدورون حول الصخرة . ثم ينادى المنادى فى سوق البزازين : "ألا إن الصخرة قد فتحت للناس .. فمن أراد الصلاة فليأت .." . وكان يقف على كل باب من أبواب المسجد عشرة من الحجاب ، ومتى دخله المصلون شموا رائحة البخور والمسك والعنبر" .

المبحث الخامس : المسجد الأقصى المبارك

يرجع تاريخ المسجد الأقصى ، كمكان مقدس للعبادة ، إلى قدم التاريخ . وقد أورد القاضي مجير الدين العليمي الحنبلي في كتابه "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" أن سيدنا آدم عليه السلام هو أول من بنى مسجد بيت المقدس ، عن بعض المؤرخين ، وأنه دفن أيضا بين القدس والخليل . وهناك رواية أخرى تقول إن سيدنا إبراهيم عليه السلام ، أبا الأنبياء ، بنى المسجد الأقصى كبناء مقدس ، بعد بناء البيت الحرام (الكعبة المشرفة) في مكة ، بأربعين سنة ، ويؤكد ذلك حديث نبوي شريف ، عن أبي ذر (رضي الله عنه)، قال : سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن أول مسجد وضع على الأرض فقال : "المسجد الحرام" ، قلت ثم أي ؟ قال : " المسجد الأقصى " ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : " أربعون عاما ثم الأرض لك مسجدا فحيثما أدركتك الصلاة فصلّ فيه ، فإن الفضل فيه " ، وتذهب بعض التفاسير إلى أن الذي بنى الأقصى هو "يعقوب" بن إسحق ، وليس سيدنا إبراهيم ، ويقال - في روايات أخرى - إن "يعقوب" طوره فقط ! في حين تحدد بعض الروايات أن "يعقوب" هو الذي بناه وأن "سليمان" طوره وجدهه .

يقول الزركشي في كتابه "إعلام الساجد" ، " أن سليمان عليه السلام إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه والذي أسسه هو يعقوب بن إسحق عليهما السلام بعد بناء إبراهيم (عليه السلام) الكعبة بهذا القدر " . وتقول " رواية توراتية " إن سيدنا إبراهيم الخليل " هم " بذبح ابنه (تقول الرواية "إسحاق" !! وليس إسماعيل) على " صخرة " بيت المقدس (وليس الكعبة المشرفة في مكة المكرمة كما ورد في القرآن الكريم) .

البداية والاكتمال

أما المسجد الأقصى الحالي (البناء المتعارف على تسميته بالمسجد الأقصى ويقع في الجهة الجنوبية من الحرم القدسي الشريف / ساحة الأقصى المبارك) فتسببه بعض المصادر إلى عهد سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وقد بنى من الخشب ، مربع الشكل ، أمر به سيدنا عمر مسجدا لرجال الفتح يؤدون فيه صلواتهم ، وكان يتسع لثلاثة آلاف مصلي ولا يتسع لأعداد المصلين الباقية (تقول رواية إنه أقيم مكان القبة

ورواية أخرى إنه أقيم مكان المسجد الأقصى (الحالى) . وعندما انتهى الخليفة عبد الملك بن مروان من بناء مسجد قبة الصخرة شرع فى بناء المسجد الأقصى (فى مكانه الحالى) سنة ٨٧٤هـ / ٦٩٣م ، واستمر البناء فيه حتى سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م ، وتوفى عبد الملك بن مروان قبل إتمام البناء ، فأنتمه ابنه الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦هـ / ٧٠٥ - ٧١٥م) الذى عزم على إتمام ما بدأ به أبوه واستمر البناء حتى سنة ٩٠هـ / ٧٠٩م ، فأحضر الفسيفساء من القسطنطينية إلى دمشق ومنها إلى بيت المقدس ، وخرج بيت المقدس على الطراز الباسليكى الذى يتناسب مع الأبنية الواسعة وعلى غرار المسجد الأموى بدمشق . ويقال إن أبواب الأقصى - زمن الأمويين - كانت مصفحة بالذهب والفضة ، ولكن أبا جعفر المنصور أمر بخلعها وصرفها دنائير تتفق على المسجد (ويقال فى رواية أخرى إنه خشى على بيوت الله من البهرج الزائد !) .

وفى حين ينسب المؤرخون المسلمون (مجير الدين الحنبلى والبشارى المقدس والسيوطى وشهاب الدين المقدس) بناء المسجد الأقصى إلى عبد الملك بن مروان ويذكرون أنه بناه سنة ٧٢هـ / ٦٩١م !! وهذا غير صحيح أو أن المقصود منه هو إتمام بناء قبة الصخرة فى هذا التاريخ ، ينسب بعض المؤرخين الآخرين (مثل : ابن الأثير ، وابن البطريق ، وابن الطقطقى) بناء المسجد إلى الوليد بن عبد الملك ، وهذا أقرب إلى الصحة . والواقع ، بل إن الأدق كما أوضحنا سابقا - أن عبد الملك بدأ البناء وأتمه ولده الوليد سنة ٩٠هـ / ٧٠٩م .

ويختلف البناء الحالى للمسجد الأقصى عن الذى بناه عبد الملك وولده الوليد اختلافا كبيرا ، ولم يبق من هيئته الأصلية إلا أجزاء قليلة بسبب تأثره بالهزات الأرضية وعوامل الطبيعة الأخرى مما أدى إلى إعادة أقسامه فى العهود العباسية والفاطمية والصليبية والأيوبية والمملوكية . والجزء الأكبر من الشكل الحالى للمسجد الذى نراه اليوم هو من عمل وإعمار الخليفة الفاطمى الظاهر لإعزاز دين الله ، وقد ضيق المسجد من الغرب ومن الشرق بحذف أربعة أروقة من كل جانب من المسجد ، وصنع له الأبواب السبعة التى فى واجهة المسجد من الناحية الشمالية . أما الأقواس السبعة التى تقابل الأبواب ، وتصنع الرواق الشمالى للمسجد فقد أقامها الملك عيسى بن أيوب (فى سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م) ، ومع العديد من سلاطين الأيوبيين ثم المماليك ثم العثمانيين ، أجروا إصلاحات

وإعمارات كثيرة ، إلا أن إصلاحات وترميمات وإعمارات الناصر صلاح الدين الأيوبي - بعد أن حرر القدس من أيدي الصليبيين - ومن بعده الملك عيسى ابن الملك العادل أخى صلاح الدين ، وإصلاحات عهد الأيوبيين ، هى التى بقيت واضحة وتميز شكل المسجد الحالى . ففى سنة ١٠٩٩م سقطت القدس فى يد الصليبيين ، "وما تلى ذلك - كما يقول تشارلز جولستون فى كتابه : القدس - التراجيديا والملهاة ، ميتشجان ، ١٩٧٨ . ص ١٩٥ - يعتبر وصمة لا تمحى فى تاريخهم . ففى منطقة (حائط البراق) وصل الدم إلى ركب الخيل لدى تقدم الغزاة نحو المسجد الأقصى " !! وعبت أيديهم بالحرم القدسي الشريف وبساحة المسجد الأقصى . وكما يقول جون جراى فى كتابه : تاريخ القدس ، نيويورك ، ١٩٦٩م ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ، حوّل الصليبيون / الفرنجة بعض المساجد إلى كنائس ، ومنها مسجد قبة الصخرة الذى صار كنيسة باسم "هيكل السيد" ! وجعلوا قسما من المسجد الأقصى كنيسة واتخذوا القسم الآخر مسكنا لفرسان الهيكل (الاستبارية) ومستودعا لذخائرهم!

صلاح الدين والمسجد الأقصى

وعندما فتح الناصر صلاح الدين الأيوبي ، القدس الشريف يوم الجمعة ٢٧ من رجب سنة ٥٨٣هـ ، الموافق ٢ أكتوبر ١١٨٧م ، وكان يتوافق مع ليلة الإسراء والمعراج، ودخل صلاح الدين ساحة المسجد الأقصى المبارك يوم الجمعة ٤ من شعبان ٥٨٣هـ - الموافق ٩ أكتوبر ١١٨٧م ، ليصلى فى قبة الصخرة المشرفة ويشكر الله على عظيم توفيقه وعزيز نصره المؤزر ، بعد أن أزال الصليب (الذى رفع فوق القبة) ومظاهر الاحتلال الصليبي وأمر بإصلاح المسجد الأقصى وإعادة البناء إلى ما كان عليه قبل الاحتلال فجدد قبة الصخرة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م ، وجدد الناصر صلاح الدين محراب المسجد الأقصى وكسا قبته بالفسيفساء وأتى بالمنبر المرصع بالعاج والأبنوس والصدف المزخرف زخرفة نادرة (الذى أمر نور الدين محمود زنكى ٥٦٤هـ / ١١٦٩م - قبل وفاته - بصنعه خصيصا للمسجد الأقصى) من حلب (بعض المصادر ، مثل موسوعة الفن فى العصر الأموى ، تذكر أنه أحضره من عسقلان) ووضعه صلاح الدين الأيوبي

فى المسجد الأقصى على يمين المحراب ٠ وبقي فى مكانه إلى أن أحرقتة إسرائيل فى جريمتها الدنيئة يوم ٢١ / ٨ / ١٩٦٩ .

عمارة الأقصى وزخرفته

يلغ طول المسجد الأقصى الحالى (من الداخل) ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً ، ومساحته ٤٥٠٠ متراً مربعاً ، وتم تجديد جميع أعمدته القديمة وتوحيد أشكالها وعددها ٥٣ عموداً مستديراً من الرخام و ٤٩ سارية مربعة من الحجارة ، وارتفاع الأعمدة والسوارى خمسة أمتار قامت فوقها أقواس حجرية ، اتساع كل منها تسعة أمتار ، وتربط بين الأعمدة مشدات نحاسية منقوشة طولها ٩ أمتار بين العقود المحمولة على الأعمدة . وللمسجد أحد عشر باباً سبعة منها على الجانب الشمالى للمسجد (واجهته وهى المقابلة لقبة الصخرة) وواحد فى الجانب الشرقى واثنان فى الجانب الغربى وواحد فى الجانب الجنوبى .

وفى مقدمة المسجد (الواجهة الشمالية) سبعة أروقة ، أمام الأبواب الشمالية ، رواق أوسط مرتفع قليلاً وثلاثة أروقة فى جهة الشرق وثلاثة مماثلة فى جهة الغرب . وأبواب المسجد متساوية لكن أوسطها هو أعلاها وكذلك البهو الأوسط داخل المسجد هو أعلاها وأجملها وهو مزخرف بالفسيفساء الملونة التى يغلب عليها الزرقة . وبدخول هذه الأبهاء الرحبة ينتهى المطاف إلى تحت القبة القبلىة (تقع فى الجزء الجنوبى من المسجد ، وهى فضية اللون (من الخارج) وترتفع ١٧ متراً عن الأرض وتكسوها الفسيفساء الجميلة فى انسجام بديع متناسق ومتناغم تضم جميع مظاهر الفن وتعتمد على الزينات النباتية ، دون وجود أى رموز أو صور حيوانية أو آدمية . وفى قبلة المسجد الأقصى يقف منبر نور الدين زنكى ومحراب صلاح الدين الأيوبى ، وحول المحراب كتبت الآية الأولى من سورة الإسراء : " سبحانه الذى أسرى بعبد له ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير " صدق الله العظيم ، والآية الثانية من سورة الإسراء : " وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلاً " . صدق الله العظيم .

الحريق

وفى ١٩٦٩/٨/٢١ ، أقدمت إسرائيل على جريمة بشعة بمحاولة إحراق المسجد الأقصى المبارك ، بهدف التخلص من وجوده ! ، مدعية أن شخصا مختلا اسمه "روهان" هو الذى قام بمحاولة الحريق بمفرده !! وقد أتى هذا (الحريق) على ثلث مساحة المسجد الإجمالية وأحرق معه منبر صلاح الدين الأيوبي ومسجد عمر ومحراب زكريا ومقام الأربعين وثلاثة أروقة ممتدة من الجنوب شمالا مع الأعمدة والأقواس والزخرفة والسقف الذى سقط على أرض المسجد وعمودين رئيسيين مع القوس الحامل للقبّة وأجزاء من القبّة الخشبية الداخلية المزخرفة ، والمحراب والجدار الجنوبي وتصفيح الرخام و٤٨ شباكاً من الجبس والزجاج الملون والسجاد العجمي ولوحة "سورة الإسراء" التى تتبدى من فوق المحراب وتمتد شرقا ، والمصنوعة من الفسيفساء المذهبة وكثير من الزخارف والآيات القرآنية . وقد تم ترميم جميع الأجزاء المحترقة (فى عام ١٩٨٤ ما عدا منبر صلاح الدين الأيوبي) وتركيب سورة الإسراء وتصفيح بعض الرخام وترميم القبّة الداخلية ، وهى من أهم وأصعب عمليات الترميم التى تمت بالاستعانة بمؤسسة اكروم الإيطالية .

حفريات حول وتحت الأقصى

وقد قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بالعديد من المحاولات لتهويد المدينة المقدسة ككل (عن طريق أحزمة الاستيطان) ، ومحاولات تهويد الحرم القدسي الشريف ومحاولة هدمه والتخلص منه وإزالة المسجد الأقصى وكذلك المباني الإسلامية وذلك للاستيلاء الكامل على الحرم القدسي الشريف ، بحجة البحث عن بقايا الهيكل ، من أجل إعادة بناء هذا الهيكل المزعوم . وشرعت سلطات الاحتلال الإسرائيلي فى العديد من أعمال الحفريات حول المسجد الأقصى وتحتّه من الناحيتين الجنوبية والغربية ، منذ عام ١٩٦٧ . وقد عجزت أعمال الحفر حول الأقصى وتحتّه ، المستمرة منذ ١٩٦٧/٦/١٣ ، عن التوصل إلى أى آثار من الهيكل المزعوم ، بل وجدت أثراً قديماً لقصر أموى مما أصاب السلطات الإسرائيلية "بخيبة أمل كبيرة" لعدم اكتشاف "هذه البقايا" لهيكلهم المزعوم ، حسب توقعاتهم ، أو الوصول إلى أية دلالات أثرية أو شواهد على ذلك باعتراف علماء الآثار الإسرائيليين أنفسهم ، حتى عندما وصلت الحفريات إلى "مرحلة النفق" الذى يصل

ما بين أسفل حائط البراق وأسفل قبة الصخرة المشرفة (اكتشفت هيئة الأوقاف الإسلامية عمليات الحفر الإسرائيلية فى هذا النفق عن طريق الصدفة بتاريخ ١٧/٨/١٩٨١) ، وأرسلت يوم ٢/٩/١٩٨١ فريقاً من الفنيين والعمال العرب لإغلاق النفق ، وقام المتطرفون الصهاينة - ومن ورائهم السلطات الإسرائيلية - بالتصدى للفريق والاشتباك معهم مما أدى إلى وقوع ثلاثة جرحى من العرب ، وإثر ذلك أعلنت الهيئة الإسلامية الإضراب العام - يوم الخميس ٣/٩/١٩٨١ - وتمكنت الهيئة ومعها الجماهير العربية من إغلاق فتحتى النفق من الناحيتين .

وقد ادعت أجهزة الإعلام الإسرائيلية - وقتها - أن اكتشاف هذا النفق ينطوى على "بعض الدلالات الأثرية" !! التى تخدم عملية البحث عن الهيكل المزعوم ، لكن علماء الآثار اليهود اعترفوا بوضوح ، ومنهم منير بن دوف ، أن العثور على هذا النفق لا يعد اكتشافاً ، لأن النفق كان معروفاً منذ ١١٠ عاماً عندما اكتشفه الكولونيل تشارلز وارين وهو جزء من شبكة أقينية مائية أقيمت فى القدس ولم تكن هذه الأقينية سرية . ومن ناحية أخرى ، تبين - من خلال تقارير عديدة - أن النفق أثر إسلامى خالص وهو يمتد من أسفل الحائط الغربى للحرم القدسى الشريف فى الموقع المسمى "بالمطهرة" (ما بين بابى القطانين والسلسلة) باتجاه الشرق مسافة ٢٥ متراً وبعمق ستة أمتار حتى يصل إلى مقابل سبيل قايتباى المواجه لقبة الصخرة المشرفة ، وعلى بعد ٣٠ متراً منه إلى الجهة الغربية.

كما قامت السلطات الإسرائيلية ، رسمياً ، بعمل وحفر ثلاثة أنفاق حفرت مباشرة تحت الأقصى تهدد بشكل واضح ببناء المسجد ، مما قد يؤدى إلى تصدعه وانهاره ! أو وصوله إلى حالة سيئة تسمح بهدمه ، وفرض الأمر الواقع الصهيونى على الحرم القدسى الشريف ، من أجل تهويد المكان وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه ، وتحقيق النوايا الإسرائيلية المبيتة تجاه الأقصى والحرم القدسى الشريف ، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، والعمل على إنهاء الارتباط الإسلامى التاريخى لبيت المقدس ، الذى يمثل الأقصى المبارك رمزا لقداسه وأهميته الدينية والتاريخية .